هى ؟

بقلم محمد موسى عفيفى

المدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية بالقاهرة وكلية أصول الدين

ليست خَوْدًا عَروبا ، ولا هيفاء لَعُوبا . ليست آنسة تامها الحب فباحت من الوجد بسرها ، ولا عانسا تندب سوء حظها ، ولا عجوزًا تجر وراءها السنين ، ولا متبتلة منقطعة إلى عبادة ربها ، ولا ممن يجترحن السيئات ، أو ينغمسن فى الموبقات . ليست ورقاء على فن تهتف بإلفها ، ولا ساجعة تسبِّح الله بسجعها .

ليست من بنى الإنسان ، ولا من فصيلتى الطير والحيوان . ليست إنسية ولا جنية ، ليست السماء ذات الكواكب ، ولا الأرض ذات السباسب . ليست أمة من الأمم ، ولا مملكة من الممالك ، ولا مدينة عامرة ، ولا بلدة غامرة . ليست داراً تسكنها ، ولا ملحفة تترداها ، ولا أمنية ، عزيزة تتمناها . ليست ثمرة حلوة تستطيبها فتأكلها ، ولا مرة تعافها فتلفظها ولا شجرة وارفة الظل ، ينتظم أفنانَها الطل . ليست الجنة التى وعد الله المتقين ، ولا النار التى أوعد الله الكافرين .

هى حية بلا روح ، تمشى ولكن بلا خف ولا قدم ، وتكتب وتشير ولكن بلا يد ولا قلم ؛ تتحرك ولكن لا تتقدم ، وتتقدم ولكن لا تتحرك شرقية وغربية ، عربية وأعجمية ؛ ساهرة ليلها ، صائمة نهارها ، تأكل أنت وهى جائعة لا تشكو سُغْباً ، وتنام أنت وهى ساهرة لاتحس لغوبا ؛ خرساء ولكنك تفهم لغتها ، عمياء وعينها أصفى من عين الديك ؛ وآية ذلك أنها تقودك وتهديك . مُقعدة وتسير ؛ بلا أجنحة وكأنها تطير . صغيرة وكبيرة ، ثقيلة وخفيفة ، حالية وخاليه ، غالية

ورخيصة . يحتاج إليها الملوك الصيد ، ولا يستغنى عنها السوقة والعبيد ؛ فى متناول أيدى الفقراء والأغنياء ، والأغبياء والأذكياء ، والبدوى والحضرى ، والغربى والشرقى ، والشيوخ والأطفال ، والنساء والرجال ؛ فى كل أرض وهى واحدة ، تعمل عملاً واحداً .

تتأثر ولكن لا تحس ، وتخفق ولكن بلا قلب ؛ اسمها عربى ، ولحنها أعجمى ؛ تنطق ولكن بلا لسان ، وتشافهك بلا ترجمان ؛ تحكى لهجة التمتام إذا نطقت ، وخفقان قلب الواله إذا تبسّت .

هل عرفت ماهى ؟

إنها التى قد تكون حينا أقصر من ليل الوصل ، وحينا أطول من يوم الفصل . وقد تكون فى وقت أحلى من الماذى ، وأعذب من الماء ، وفى وقت آخر أبشع من مر الدواء .

على وجهها أشراط وعلامات ، وأمعاؤها ملتويات متصلات ، لا تهضم الطعام ، وهى تعرُق عظام الدهر والأيام ؛ ثمرة من ثمرات العلم ، ضرورية فى الحرب والسلم ، بناها الإنسان فهَدُم وهى ثابته . وخلقها فمات وهى باقيه .

هل عرفت ماهى ؟

إنها التى تعد انفاسك ، وتحسُبُ أوقاتك ، وتحصى آناتك وأنّاتك ، هى التى تقطع أوصال الزمان ، ولا تبالى الحِدْثان .

هى التى تدور عليها عقرب لا تضرب نحُمة ولا ذنب ، ولا تجلب الضر ولا العطب .

هى التى

تريك مكان الشمس فى دورانها ... إذا حجَبت عنك الغيومُ ضياها
تنادى بنى الأيام فى نقراتها : ... أن اسعَوْا بجد بالغين مناها
ولا تهملوا الأوقات فهى بَوَاترٌ ... تقطع أوصالَ الحياة شبَاها

هى : « الساعة » .